Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السادس - العدد السابع عشر || تاريخ الإصدار 2026-08-20

الخدع العسكرية في مصر القديمة

Military Deceptions in Ancient Egypt

م.م. ألفت سمير جبار

Assistant Lecturer Alfat Samir Jabbar

كلية التربية الجامعة المستنصرية

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss61738

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:
تُعد الخدع العسكرية أحد المرتكزات المهمة في دراسة الاستراتيجيات الحربية في مصر القديمة، أذ لم تقتصر المنظومة العسكرية المصرية على استخدام القوة المباشرة، بل شملت توظيف اساليب تكتيكية قائمة على الخداع والتضليل لتحقيق الاهداف العسكرية بكفاءة اعلى. ويعكس ذلك وعياً مبكراً بأهمية العوامل النفسية والمعلوماتية في ادارة الصراع. وتشير الشواهد والنقوش الاثرية الى توظيف هذه الاساليب في عدد من الوقائع الحربية، من أبرزها معركة قادش في عهد رمسيس الثاني، حيث برزت مظاهر التضليل الاستخباري وسوء تقدير المعلومات كعناصر مؤثرة في مجريات المعركة. كما تُظهر بعض الروايات، مثل حادثة فتح يافا، استخدام الحيلة العسكرية لاختراق تحصينات العدو دون اللجوء الى المواجهة المباشرة.

وعليه فأن تحليل الخدع العسكرية في مصر القديمة يُسهم في تطور الفكر الاستراتيجي العسكري، ويبرز تكامل الابعاد المادية والمعنوية في ادارة العمليات الحربية ضمن سياق حضاري متقدم.

الكلمات المفتاحية: الخدع العسكرية، مصر القديمة، الاستراتيجيات الحربية، معركة قادش.

Abstract:

Military Deception is Considered One of the Important Foundations in Ancient Egypt. The Egyptian Military System Extended Beyond. The Reliance on Direct Force, incorporating Strategic Tactics, Based on Deception and Military Objectives Effectively and Efficiently. This Demonstrates an Early Recognition of the Significance of Psychological and intelligence Factors in the Management of Warfare. Archaeological Records and inscriptions Reveal That Such Strategies Were Employed in Several Military Inaccurate Assessments of Enemy Movements Played a Crucial Role in Shaping. The Events of the Battle. Some Accounts, such as the incident of Affa, Also Demonstrate the Use of Military Stratagems to Penetrate Enemy Fortifications Without Resorting to Direct Confrontation Therefore, Analyzing Military Deception in Ancient Egypt Contributes to the Development of Strategic Military Thought and Highlights the integration of Both Material and Psychological Dimensions in the Management of Military Operations Within an Advanced Civilizational Context.

Keywords: Military Deception, Ancient Egypt, Military Strategies, Battle of Kadesh.

المقدمة:

الأمم لها تاريخا سياسيا واقتصاديا ويوجد لها تاريخ حربي ومعارك عسكرية كثيرة حارب بها الشعب، وهذا التاريخ يتضمن أحوال الجيش وتطوراته وقادة ابلو فيها بلاء حسن هذا العالم يوجد أمه من الأمم لها تاريخا سياسيا واقتصاديا ويوجد لها تاريخ حربي ومعارك عسكرية كثيرة حارب بها الشعب ، وهذا التاريخ يتضمن أحوال الجيش وتطوراته وقادة ابلو فيها بلاء حسن .

ويلخص من ذلك دروس قومية يتلقاها الخلف من السلف .

لقد كانت الدراسة الحربية للبلاد العربية مهملة وبالذات التاريخ الحربي المصري حيث كان مفقودا لم يتناوله باحث او منقب . فالمعارك التي خاضها المصريون القدماء منذ فجر حياتهم ظلت غامضة، كالطلاسم القدماء ولو ان الحوادث العسكرية جرت عليها بحوث بصورة فنية وعلمية لزاله منها الغموض، وكانت عاملا ذا شان في صقل الروح الوطنية بين أبناء الشعب لذلك نهض الجيش منذ تكوينه بأروع الواجبات فنلاحظ صلة هذا الجيش بتاريخ مصر وثيقة منذ الالاف السنين . فقد عاشت مصر امة مستقلة ذات سيادة معظم تلك السنين الطوال بفضل رجال الإدارة والجيش وشعبها المجاهد.

لعب الموقع الجغرافي لمصر دورا مهما في الحروب التي خاضتها خصوصا صحراء ليبيا وسيناء والنوبة واعتبرت عائقا امام الأعداء فالسواحل الشمالية لم تعرضها الى ااي خطر. اما حدودها الشرقية والجنوبية، فكانوا اقل منها مدنية و ثقافة وقوة . حرص المصريون النهوض للحفاظ على ارضهم وأنفسهم. فانطلق الجيش المصري الى اسيا الصغرى وبادية الشام واعالي الفرات.

ان هذا الانطلاق والتقدم الذي مرت به مصر لم يستمر كان هناك فترات خمول وتراجع حالها ك حال أي دولة من دول العالم . تعتبر الحضارة المصرية القديمة من اعرق الحضارات فلعبت القوات المسلحة دورا حيويا في حماية كيانها واستقرارها عبر الاف السنين.

الفصل الأول: مفهوم وتصنيف الخدع العسكرية :

ان القوة العسكرية للجيش المصري لم يعتمد عليها بشكل مباشر فحسب، بل اشتهر بتكتيكاته وذكائة الماكر الذي من خلاله مكنته تحقيق انتصارات حاسمة. حيث ان المعارك لم تكن تحسم دائما بالعدد او قوة السلاح. بل كانت تحسم أحيانا بالتخطيط البارع واستخدام الخدع العسكرية التي تؤدي الى ارباك العدو وتضلليه والايقاع به . هذا ياكد على كشف الجانب المهم من العبقرية العسكرية التي تميزت به الحضارة المصرية القديمة ويبين كيف كان المصريين القدماء سباقين في تطوير فنون القتال والحرب النفسية والاستراتيجية.

المبحث الأول: المفهوم العام للخدع العسكرية في سياق الحروب القديمة:

1. هي استتراتيجية او تكتيك يكون التموية فيها عالي جدا لمفاجئة العدو لارباكة وخداعة من اجل تحقيق ميزة تكتيكية او استراتيجية في المعركة . (زكي 2015، 21)

فيما يرى البعض ان الخدع العسكرية هي تشتيت انتباه العدو لجعله يركز على مكان او هدف وهمي بعيدا عن الهدف الحقيقي للهجوم . (محمد 2022، 22)

هي إخفاء النوايا الحقيقية لمنع العدو من معرفة خطة الهجوم او حجم او عدد القوات المشتركة. (Emanuel 2017, 10)

هي انشاء كمين استراتيجي العدو لجعله يتقدم الى منطقة معينة حيث يمكن الهجوم عليه من عدة جهات ، هي احباط معنويات العدو من خلال استخدام وسائل نفسية لإقناعيه بان قوته اقل او موقفة اضعف مما هو عليه . (Wilkinson 2010)

الفرق بين الخدعة الاستراتيجية والخدعة التكتيكية (Salinger 2005, 20) :

الخدعة الاستراتيجية :- هي خدعة ذات نطاق واسع ومدى طويل تحقق هدف كبير ومركزي في الحرب او النزاع بأكمله . لا تتعلق بمعركة واحدة . انما تؤثر على مسار الصراع ككل

- الهدف : هو توهيم العدو حول نواياك الرئيسية لمستواك الوطني والعسكري .وقد يكون الهجوم مرتبط بالخدعة التي يضعها الجندي او توقيته او حجم القوة المشاركة .
- المدة :- قد تستمر لفترة طويلة تصل الى اشهر او سنوات قبل بدء العمليات الفعلية .
- التأثير: - وهي ذات نتائج حاسمة تأثر على سير الحرب بأكملها .حيث تعمل على ارباك القيادة العليا للعدو مما يجعله يتخذ القرارات الخاطئة على مستوى كبير.

أنواع الخدع: (Shaw 2019, 34)

الخدعة التكتيكية : هي خدعة قصيرة المدى تحدث في معركة معينة او عملية عسكرية محدودة . تعمل على تحقيق ميزة في ارض المعركة مباشرة .

- تكتيك الكمين : هو المكان الذي يمكن الاختفاء والانتظاربه لوقت محدد حتى دخول العدو في المنطقة المستهدفة ثم الهجوم عليه بشكل مفاجئ.
- تكتيك التطويق : هي تطويق العدو ومحاصرته من جميع الجهات لمنعه من الانسحاب او الحصول على المساعدات ممايجبره على الانسحاب.
- تكتيك الضربة المباغتة (الحرب الخاطفة) : وهو الهجوم الذي يستخدمه القوات المدرعة والطيران لاختراق خطوط العدو بسرعة حيث يعتمد على السرعة والمفاجئة.

المبحث الثاني : تصنيف الخدع العسكرية في مصر القديمة :

1- خدع لتمويه والاخفاء: هو جعل العدو لايرى القوات والمعدات العسكرية بالعين المجردة او بوسائل الاستطلاع الحديثة.

- التموية البصري: وهوالذي يستخدم به أنماط والوان تتناسب مع البيئة (صحراء ، غابات ، ثلوج) لاخفاء الجنود والمعدات.

- الستار الدخاني: وهو الذي يستخدم لاخفاء تحركات القوات في ساحة المعركة من خلال استعمال الدخان او الضباب مما يربك العدو ويصعب عليه الاستهداف.
- الطين والدهانات: وهو دهن الوجه والجلد بالطين والمواد الطبيعية الأخرى لاخفاء الجلد ولمعانه وتوحيد لونه مع لون الأرض.

2- خدع المعلومات والتضليل: وهي التي تعتمد على أساليب نشر معلومات كاذبة اومضللة مما تاثر على اراء الناس او سلوكهم، او قراراتهم وتعد أداة خداع قوية تستحدم في السياسة ،والحروب وحتى في التسويق التجاري.

- خدع الحصار: وهو نماذج خشبية استخدمت لأسلحة حصار وهمية لارهاب العدو.
- جمع المعلومات المضللة من خلال الاعتماد على الجواسيس والكشافة
- ارباك وزعزعة ثقة العدو من خلال بث ونشر الشائعات.

3- خدع المفاجاة والكمائن: وهي من الاستراتجيات المعارك القديمة حيث تتمكن من التغلب اكبر الجيوش واقوها بالاعتماد على قوات قليلة العدد .

- الكمائن الميدانية : وهي احدى فنون الخداع التي استخدمها الجيش المصري مستغلا بشكل كبير التضاريس الأرضية مثل الاودية والمستنقعات الكثيفة على نهر النيل حيث كان الجيش يجذب العدو الى هده الأماكن.
- الخداع الاستراتيجي: وهوتكتيك عسكري وجزءا متكاملا من الفكر العسكري الذي يعتمد على الذكاء والتخطيط والتخفي حيث يتم إخفاء الجنود داخل السفن او عربات تجارة تدخل الى مدن العدو لجمع المعلومات .
- الخداع النفسي: هواداة قوية استخدمها الجيش المصري القديم لنهاء ثقة العدو واضعاف معنوياته قبل واثناء الحرب من خلال تزيين الجيش بدروع لامعه واعلام ضخمه تحمل صور الالهة وكذلك استخدام الطبول والابواق لاخافة العدو عن بدء الحرب وكذلك استخدام العربات التي تجرها الخيول. (Aurelius 2025, 56)

الفصل الثاني: تنظيم الجيش المصري القديم

المبحث الأول الهيكل التنظيمي للجيش:

لم يكن لمصر القديمة جيش منظم ودائم بالمعنى الحديث بل كانت بكل مقاطعة قوات خاصة ولكن بعدها ظهرت اول نواة للجيش المنظم في عهد الاسرة السادسة على يد القائد (وني) لصد الاخطار الخارجية وبعدها في عصر الدولة الحديثة أي في عصر الإمبراطورية تطور الجيش بشكل كبير وأصبحت هناك مؤسسة عسكرية محترفة وظهرت معها أنواع.

أولا:

1- القيادة العليا : تميزت القيادة العليا في الجيش المصري القديم بوحدة القيادة والتسلسل الإداري الواضح، الامر الذي ساعد على سرعة اتخاذ القرار، وحسن إدارة الحملات العسكرية ، وتحقيق الانضباط بين الوحدات الانضباط بين الوحدات المختلفة . كما كان لهذا التنظيم دور مهم في نجاح المصريين في الدفاع عن حدودهم، وإدارة الإمبراطورية المصرية، وتنفيذ الخطط العسكرية التي اعتمدت أحيانا على الخداع والمباغتة والكمائن لتحقيق التفوق على الخصوم. (عباس 2016، 76)

2- دور الملك : في مصر القديمة لعب الملك دورا أساسيا في الجيش حيث لم يكن قائد شكلي بل كان القائد الأعلى للجيش ومحاربا يقود قواته في المعركة . اذ كان دوره يجمع بين الجانبين الديني والسياسي والعسكري فالدور الديني كان ينظر اليه على انه حامي مصر والممثل الإلهي على الأرض اذ ان وجوده في ساحة الحرب تعطي للجنود روح معنوية كبيرة وكانت الانتصارات تسجل له وتكتب على جدران المعابد تمجيدا له . كما كان يضع الخطط للحملات العسكرية ووضع الاستراتيجيات وينشئ المعسكرات قبل مواجهة العدو وكذلك يعين كبار الضباط والقادة لقيادة الجيش ويعطيهم الألقاب والمكافات تقديرا لهم ولخدمتهم

كما كان دور الملك حماية حدود الدولة ضد أي عدو خارجي. (قدري 2014، 82)

3- وزير الدفاع: لم يكن هناك منصب فعلي له بل كانت هناك شخصيات مهمه تقوم بمهام تشبة لحد كبير مهام وزير الدفاع اما الألقاب التي اخذها اميرا ميشاع (القائد العام للجيش) هذا اللقب كان يمنح لكبار القادة الذي كانوا يتولون قيادة القوات المسلحة ويمنح للشخصيات مرموقة من النبلاء.

(وني) ظهرت هذه الشخصية في عصر الدولة الحديثة وهو مسؤول عن تنظيم الجيش وتعبئة الجنود مهمه تشبه مهام وزير الدفاع الى حد كبير . ويقوم بقادة الحملات العسكرية الكبرى ويعمل على شغل مناصب إدارية كذلك. (فخري 2015 ، 54)

4- الوزير (الوزير الأعظم): وهو اعلى منصب بالدولة بعد الملك حيث يتم تكلبفه بالأشراف على العديد من الشؤون الإدارية التي تتعلق بالجيش كالأشراف على التجنيد وتوفير الموارد أي امدادات الجيش من الأسلحة والمؤن والعتاد ويشرف على بناء القلاع والحصون الحدودية لتامين الدولة من المخاطر الخارجية لذلك ان منصب وزير الدفاع تكون تحت القيادة العليا للملك. (مهران 1988، 26)

ثانيا : فرقة المشاة : تعتبر العامود الفقري للجيش المصري القديم وبالذات في عصر الدولة الحديثة حيث كانت مقسمة الى عدة أنواع .

1. المشاة العادية (المشاة النظامية) : تعتبر هي القوة الأكبر في الجيش تتالف من المجندين الجنود ومهمتهم الأساسية القتال المباشر واحتلال الأراضي المفتوحة وكانت من فرقها الرماة التي يشكلون الخط الأول للهجوم وحاملوا الرماح والدروع الذين يشكلون القوة التي تلتحم بالعدو وجها لوجه . (زكي 2015، 46)
2. فرق القوات الخاصة (وحدات النخبة) : كانت هذه الفرقة تتمتع بقدرات قتالية عالية ، وكانت تخضع لتدريبات خاصة ومكثفة وهي مكلفة بمهام حاسمة . كشن الهجمات المفاجئة على اجنحة العدو وتغيير مسار المعركة في اللحظات الحرجة لإنقاذ الجيش. وتقديم الحراسة الخاصة للملك (الفرعون) والنبلاء.(Gabriel 2002, 78)
3. المشاة الأجنبية (المرتزقة): استخدمتها الدولة المصرية بشكل كبير في عصر الدولة الحديثة وبعداد كبيرة لدعم القوات العسكرية حيث كانت هذه الفرقة تتكون من شعوب مختلفة مثل النوبيون (المبدجاي)الذين اشتهروا بمهارات قتالية كاستخدام القوس والسهم الشردان (شعوب البحر) استخدموا السيف الطويل وارتداء الخوذ المميزة ليبيون والكنعانيون كانوا متميزين في القتال واستخدام الأسلحة المميزة. (Shaw 2019, 52)

ابرز الأدوار الاستراتيجية لملكات مصر القديمة من خلال المحاور الاتية:

اولاً: الملكة اياح حتب (مؤسسة حرب التحرير): لعبت دوراً محورياً في قيادة المقاومة ضد الهكسوس بعد استشاهد زوجها (سقنن رع تاعاً) وابنها (كامس). ويُعد (لوح كامس)* ونقوش مقبرة ابنها احمس الأول دليلاً على ارادتها الاستخباراتية واللوجستية الرائعة، حيث نجحت في حشد صفوف الجيش المصري، توحيد الجبهة الداخلية، وابتكار أساليب دفاعية لتأمين طيبة، مما مهد الطريق لابنها لتحقيق النصر النهائي . (حسن 1992، 92)

ثانياً: الملكة حتشبسوت (الدبلوماسية كبديل للحرب): ركز خلفاؤها مثل (تحتمس الثالث) على المعارك المباشرة، استخدمت حتشبسوت القوة الناعمة والدبلوماسية الاستراتيجية حيث تم توجيه البعثات التجارية المعقدة مثل (بعثة بلاد بونت)* بذكاء استخباراتي لفتح أسواق جديدة، تأمين العمق الافريقي لمصر، وتجنب الحروب المكلفة مع الحفاظ على هيبة التاج المصري. (Clayton 2006, 63)

ثالثاً: الملكة تي (الحروب الدبلوماسية والاستخبارات): عُرفت كواحدة من اقوى ملكات الاسرة الثامنة عشرة، ولعبت دوراً استراتيجياً في إدارة العلاقات الخارجية حيث استخدمت تي شبكة من الدبلوماسية الناعمة والمراسلات السياسية مع ملوك الشرق الأدنى القديم، حيث كانت تدير الازمات بحكمة سياسية لتأمين الحدود وتثبيت النفوذ المصري دون إراقة دماء. (Tyldesley 2006 , 44)

رابعاً: الملكة تاوسرت (والتمويه السياسي): في أواخر الاسرة التاسعة عشرة، تولت تاوسرت حكم البلاد ومارست سياسات دفاعية وإدارية دقيقة للحفاظ على تماسك الدولة وسط أطماع خارجية واضطرابات داخلية، معتمدة على التدابير السياسية الاستراتيجية في إدارة شؤون الحكم. تجد تفاصيل موسعة حول دور المرأة في المجالين العسكري والسياسي. (R. H. Wilkinson 2012 , 16)

اما اخطر الخدع العسكرية التي نفذاها الجيش المصري:

تعد الخديعة والمكر في الحروب احد اهم العوامل التي ربما ترجح كفة طرف على آخر اذ ان تنفيذها على نحو محبوك يلعب دوراً كبيراً في خلخلة وارتباك صفوف الطرف المناوئ ما يجعله في موقف اضعف من نظيره الذي خدعه لينتهي به الحال الى الهزيمة اذا ما اتبع الطرف الاخر خديعته بعوامل الانتصار الأخرى من عتاد وعدة وحسن تصرف وتدبير، ونرصد ابرز الخدع العسكرية التي نفذها المصريون في حروبهم على مر التاريخ وشكلت عاملا مساعداً رجح كفتهم.

اولاً: خطة معركة (مجدو)* 1468 ق.م: المصريون هنا يغامرون باختيار طريق الموت ويباغتون القادشيين من خلال خطة نفذها المصريون القدماء بقيادة الملك تحتمس الثالث اذ كان امام الجيش المصري طريقين للوصول الى مجدو(تل المسلم حالياً) وتقع شمال فلسطين لملاقاة القادشيين ، الطريق الأول: عبارة عم ممر جبلي ضيق محفوف بالمخاطر لأنه لا يتسع لمرور الجيش كما انه حال اكتشاف العدو ذلك ستكون الخسارة فادحة للمصريين، الطريق الثاني: اثر سهولة واماناً من سابقه، ولكن على عكس المنطق اختار تحتمس الثالث الطريق الأصعب على اعتبار ان العدو لن يتوقع اجتياز الجيش المصري لهذا الطريق ، وهو ما تأكد عندما باغت الجيش المصري القادشيين في حين كانت في طلائعهم الاستكشافية متمركزة على الطريق الثاني فكان النصر حليف الجيش المصري. (عودة 2020، 94)

ثانياً: معركة قادش: تُعد معركة قادش من أبرز المعارك العسكرية في تاريخ مصر القديمة والشرق الأدنى القديم وقد وقعت نحو عام (1274 ق.م) بين الجيش المصري بقيادة رمسيس الثاني والجيش الحيثي بقيادة الملك مواتلي الثاني، بالقرب من مدينة قادش الواقعة على نهر العاصي في بلاد الشام وجاءت هذه المعركة في أطار التنافس السياسي والعسكري بين مصر والامبراطورية الحيثية للسيطرة على المدن والمراكز الاستراتيجية في بلاد الشام ولا سيما مدينة قادش التي كانت تمثل موقعاً مهماً يتحكم بطرق التجارة والاتصال بين مصر واسيا. وقد نظم رمسيس الثاني جيشه الى أربعة فيالق رئيسة هي: آمون، ورع، وبتاح، وست، وتحرك بها نحو قادش لاستعادة النفوذ المصري في المنطقة الا ان الجيش المصري تعرض لخدعة عسكرية محكمة، تمثلت في ارسال جاسوسين حيثيين اوهما القيادة المصرية بأن القوات الحيثية ما زالت بعيدة عن ميدان القتال الامر الذي دفع رمسيس الثاني الى التقدم بقواته قبل وصول بقية الفيالق واستغل الملك مواتلي بعرباته الحربية على المعسكر المصري محدثاً حالة من الارتباك في صفوف القوات المصرية. (برستد 1903، 56)

ثالثا: حملات الملك تحتمس الثالث في بلاد الشام:

اعتمد تحتمس الثالث في حملاته العسكرية على ساحل بلاد الشام على أسلوب يجمع بين (التمويه البحري والمباغتة)، اذ استغل الاسطول المصري لنقل القوات والامدادات بسرعة الى الموانئ الفينيقية، مثل جبيل وغيرها من مدن الساحل، مما أتاح له تنفيذ عمليات إنزال خاطفة أربكت خصومه قبل ان يتمكنوا من تنظيم دفاعاتهم. كما مكنه هذا الأسلوب من السيطرة على الموانئ الاستراتيجية وقطع خطوط الامداد والاتصال بين المدن الساحلية والقوات المتمردة في الداخل السوري، الامر الذي أضعف مقاومة اعدائه وسهل تقدم الجيش المصري. (صالح 2012 ، 42)

ولم يكن الهدف من هذه العمليات احتلال المدن فحسب، بل تحويل الموانئ الى قواعد لوجستية تدعم الحملات اللاحقة في شمال الشام. وقد عكست هذه الاستراتيجية قدرة تحتمس الثالث على توظيف القوة البحرية في خدمة العمليات البرية، وتحقيق عنصر المفاجأة من خلال السرعة في الحركة وحسن اختيار مواقع الانزال، في الساحل السوري الفينيقي، وجعل حملاته نموذجا مبكرا في فن المناورة والخداع العسكري في التاريخ القديم. (بكر 1992، 87)

رابعا: حملات رمسيس الثالث ضد شعوب البحر:

من ابرز الأمثلة على استخدام (التمويه والكمائن البحرية) في التاريخ العسكري القديم، وقد ظهر ذلك بوضوح بمعركة (دلتا النيل) (وهي موقعة بحرية بين الجيش المصري، وقوم اطلق عليهم شعوب البحر المتوسط ، دارت قرابة عام (1178- 1175) ق.م حين قام رمسيس الثالث (فرعون مصر) بمقاومة غزو بحري كبير اطلقته شعوب البحر على مصر. دارت المعركة بمكان بالقرب من السواحل الشرقية لدلتا النيل وعلى الحدود المصرية السورية الا ان الموقع بالتحديد مجهول. وتعتبر هذه المعركة هي اول معركة بحرية في التاريخ وسجلت وقائعها على جدران معبد رمسيس الثالث الجنائزي بمدينة هابو بالقرب من الأقصر حالياً)التي وقعت في السنة الثامنة من حكمه نحو (1177ق.م) فبعد ان اجتاحت شعوب البحر بلاد الشام ودمرت عدد من الممالك، توقعت ان تتمكن من دخول مصر بالطريقة نفسها، الا ان رمسيس الثالث اعد لها خطة دفاعية محكمة قائمة على المفاجأة والخداع. فقد عزز التحصينات مصبات النيل، واخفى جزءاً من الاسطول المصري داخل الممرات المائية بعيداً عن انظار العدو، كما نشر اعداداً كبيرة من الرماة على ضفتي النهر، بحيث لا يتمكن المهاجمون من اكتشاف مواقعهم قبل بدء القتال. (خالد 2020، 123)

وعندما اندفعت سفن شعوب البحر الى الممرات الضيقة، ظن قادتها انهم نجحوا في اختراق الدفاعات المصرية، لكنهم فوجئوا بانطلاق السفن المصرية من مواقعها المخفية، في الوقت الذي انهالت عليهم السهام من جانبي النهر، فأصبحوا محاصرين من البر والبحر معاً. وقد أدى هذا الكمين الى ارباك صفوف العدو، ومنعه من المناورة او الانسحاب فتحولت المعركة الى هزيمة ساحقة انتهت بتدمير معظم سفنه واسر عدد كبير من مقاتليه. وتبرز هذه الخطة براعة رمسيس الثالث في توظيف الجغرافيا الطبيعية، والتمويه، وتحقيق عنصر المفاجأة مما جعل معركة دلتا واحدة من اقدم النماذج التاريخية للحرب المشتركة بين القوات البرية والبحرية، واسهمت في حماية مصر من اخطر تهديد خارجي في أواخر عصر الدولة الحديثة. (نورالدين 2022، 92)

خامسا: حملات تحتمس الثالث بلاد النوبة: (مختار 1990، 61)

اعتمد تحتمس الثالث في حملاته على بلاد النوبة على أسلوب يقوم على (المباغتة والانتشار السريع) أكثر من اعتماده على المعارك المفتوحة فقد كانت النوبة خاضعة للنفوذ المصري، لكن بعض مناطقها شهدت تمردات متكررة؛ الامر الذي دفع الفرعون الى التحرك السريع بقواته عبر وادي

النيل للوصول الى مواقع التمرد قبل ان تتمكن القبائل النوبية من توحيد صفوفها كما استغل مجرى النيل في نقل الجنود والامدادات بسرعة، وسيطر على الحصون والممرات النهرية لمنع المتمردين من إعادة تنظيم قواتهم او تلقي الدعم. وفي حملته الأخيرة التي وصلت الى الشلال الرابع. (متولي (https:www.Albayan.ae

عزز وجود المصري ببناء المعابد والمنشآت الإدارية، بهدف ترسيخ النفوذ المصري ومنع أي تمرد مستقبلي وتظهر هذه الإجراءات ان نجاح تحتمس الثالث في النوبة اعتمد على الخداع غير المباشر المتمثل في سرعة الحركة، والمفاجأة، والسيطرة على طرق الاتصال، اكثر من اعتماده على الحيل التكتيكية المباشرة وهو ما مكنه من تثبيت حدود مصر الجنوبية وتأمين موارها الاقتصادية. (توفيق 2013)

عيوب الخدع العسكرية في الجيش المصري القديم:

على الرغم من المكانة التي احتلتها الخدع العسكرية في الفكر الحربي المصري القديم، ودورها في تحقيق العديد من النجاحات العسكرية، فأنها لم تكن وسيلة مضمونة النتائج في جميع الأحوال، بل كانت تنطوي على العديد من العيوب والمخاطر التي قد تؤدي الى فشل العملية العسكرية اذا لم تُنفذ وفق تخطيط دقيق واعداد محكم؛ ويرجع ذلك الى ان الخداع العسكري يعتمد في جوهره على إخفاء النوايا الحقيقية للقائد وايهام العدو بمعلومات او تحركات غير صحيحة، وهو ما يتطلب توافر قدر كبير من السرية والانضباط والتنسيق بين مختلف الوحدات العسكرية، لذلك فأن أي خلل في هذه العناصر قد يؤدي الى انهيار الخطة قبل تنفيذها، ويُمنح العدو فرصة لاستغلال الموقف وتحويل الخداع الى نقطة ضعف ضد القوات المصرية. (سلمان 2012، 16)

ومن ابرز عيوب الخدع العسكرية اعتمادها شبه الكامل على " عنصر المفاجأة" اذ ان نجاحها كان مرهوناً بعدم اكتشاف العدو للخطة قبل تنفيذها. فأذا تمكنت قوات الخصم من الحصول على المعلومات استخباراتية عن تحركات الجيش المصري او استطاعت مراقبة استعداداته العسكرية، فأن عنصر المباغتة يفقد قيمته ، ويصبح العدو قادراً على إعادة تنظيم قواته، وتعزيز مواقعه الدفاعية ، او نصب كمائن مضادة ، الامر الذي قد يؤدي الى الى افشال الخطة والحاق خسائر كبيرة بالقوات المصرية؛ ولهذا السبب كان الحفاظ على سرية التحركات المصرية يمثل مسؤولية أساسية تقع على عاتق القادة والجنود على حد السواء. (A. g. Salinger 2005, 85)

ومن العيوب المهمة ايضاً ان إنجاح الخدع العسكرية كان مرتبطاً بطبيعة البيئة الجغرافية التي تدور فيها العمليات العسكرية فالكمائن والتمويه واخفاء القوات كانت تحتاج الى تضاريس تساعد على تحقيق الاخفاء، مثل الممرات الجبلية، والوديان، والغابات، والمناطق كثيرة الوديان ، اما في الأراضي الصحراوية المكشوفة او السهول الواسعة فأن فرص إخفاء القوات كانت اقل الامر الذي يزيد من احتمال اكتشاف التحركات العسكرية ويقلل من فاعلية الخداع وهذا يعني ان القائد المصري لم يكن تطبيق الأسلوب نفسه في جميع ميادين القتال، بل كان يضطر الى تعديل خططه بما يتناسب مع طبيعة الأرض. (محمد 2022، 95)

محاسن الخدع العسكرية على الجيش المصري القديم:

تُعد الخدع العسكرية من أبرز الوسائل التي اعتمد عليها الجيش المصري القديم في إدارة العمليات الحربية، اذ لم تقتصر فلسفة الحرب لدى المصريين على المواجهة المباشرة، وانما امتدت الى توظيف الذكاء العسكري والتخطيط الدقيق لتحقيق التفوق على الخصم. وقد أسهمت هذه الخدع في تعزيز كفاءة الجيش وزيادة فاعلية عملياته، من خلال استثمار عنصر المفاجأة، وارباك العدو، واستغلال طبية الأرض بما يحقق أفضل النتائج العسكرية بأقل قدر ممكن من الخسائر، لذلك أصبحت الخدع العسكرية جزءاً اساسياً من الفكر العسكري المصري، ولا سيما خلال عصر الدولة الحديثة الذي شهد توسعاً كبيراً في الحملات العسكرية داخل بلاد الشام والنوبة. (A. g. Salinger 2005, 59)

ومن أبرز محاسن الخدع العسكرية تحقيق عنصر المفاجأة، اذ كانت الخطط العسكرية المصرية تعتمد على إخفاء النوايا الحقيقية للقائد، وايهام العدو باتجاهات او اهداف غير حقيقية؛ الامر الذي يؤدي الى فقدان الخصم قدرته على التنبؤ بحركة الجيش المصري او الاستعداد لمواجهته وقد منح هذا الأسلوب القوات المصرية المبادرة في بدء الهجوم، وهي ميزة تكتيكية كان لها اثر كبير في حسم العديد من المعارك لصالح المصريين كما أسهمت الخدع العسكرية في ارباك العدو واضعاف معنوياته. (إبراهيم 1992، 56)

ومن المحاسن المهمة ايضاً ان الخدع العسكرية أسهمت في تقليل الخسائر البشرية والمادية؛ لانها اعتمدت على تحقيق الأهداف العسكرية بأقل استخدام ممكن للقوة المباشرة فعندما نجح الكمين او التمويه او المناورة في اضعاف العدو قبل الاشتباك، تقل الحاجة الى معارك طويلة تستنزف القوات، وهو ما ساعد الجيش المصري على الحفاظ على قوته القتالية واستمرار قدرته على تنفيذ حملات متعاقبة إضافة الى ذلك، عززت الخدع العسكرية كفاءة التخطيط والتنظيم العسكري داخل الجيش المصري. (صالح 2012 ، 335)

الخاتمة:

توصلت الباحثة الى ان الخدع العسكرية كانت من ابرز الأساليب التي اعتمد عليه الجيش المصري القديم في إدارة عملياته الحربية، اذ لم تقتصر على استخدام القوة العسكرية، بل ارتكزت على التخطيط الدقيق، والاستطلاع، والتمويه، والمباغتة، واستغلال طبيعة الأرض لتحقيق التفوق على العدو وقد أسهمت هذه الأساليب في ارباك الخصوم، وتقليل الخسائر البشرية والمادية، وزيادة فرص تحقيق النصر مما يعكس ما وصل اليه المصريين القدماء من تطور في الفكر والتنظيم العسكري.

كما اظهر البحث ان نجاح الخدع العسكرية ارتبط بوجود قيادة عسكرية كفؤ، وجنود مدربين على تنفيذ الخطط بدقة وانضباط الى جانب الاعتماد على المعلومات الاستخباراتية والتنسيق بين مختلف الوحدات العسكرية. وفي المقابل بين البحث ان فاعلية هذه الأساليب كانت تعتمد على الحفاظ على سرية الخطط، ودقة تنفيذها، وملائمة طبيعة الأرض اذ ان أي خلل في هذه العناصر قد يؤدي الى فشل العملية العسكرية.

وبناءً على ذلك، يؤكد البحث ان الخدع العسكرية شكلت ركيزة مهمة في نجاح الجيش المصري القديم واسهمت في تعزيز قوة الدولة المصرية وتوسيع نفوذها خلال عصر الدولة الحديثة، مما يجعلها ابرز مظاهر التطور العسكري كان نتاجاً للتخطيط والمهارة الى جانب القوة القتالية.

المصادر والمراجع

فخري، أحمد .(2015) .*مصر الفرعونية: موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م* .مكتبة الأنجلو المصرية .

قدري، أحمد .(2014) .*المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية (1570–1087 ق.م.)* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

إبراهيم، بكر محمد .(1992) .*صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديمة* .وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية .

خالد، تمام. (2020). حروب رمسيس مع شعوب البحر .*مركز جيل البحث العلمي، 1* .(67)

Breasted, James Henry. (1903). *The Battle of Kadesh: A Study in the Earliest Known Military Strategy*. Chicago: The University of Chicago Press.

محمود، حسن أحمد .(2006) .*تاريخ الشرق الأدنى القديم* .القاهرة: دار المعرفة الجامعية .

حسن، سليم .(1992) .*موسوعة مصر القديمة* (الجزء السادس). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

محمد، عبد الجبار أحمد. (2022). الخدع العسكرية لدولة المماليك في مصر والشام (648–923 ق.م.) .*مجلة دورية كان التاريخية، 15* .(58)

نور الدين، عبد الحليم .(2022) .*الحضارة المصرية القديمة* .القاهرة: مكتبة الأسرة .

زكي، عبد الرحمن .(2015) .*الجيش في مصر القديمة* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

صالح، عبد العزيز .(2012) .*الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق* .القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية .

بكر، محمد إبراهيم .(1992) .*تاريخ مصر القديمة* .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية .

مهران، محمد بيومي .(1988) .*مصر القديمة: الجزء الثالث، عصر الدولة الحديثة* .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية .

مختار، محمد جمال الدين .(1990) .*تاريخ مصر القديمة* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

عباس، محمد رأفت .(2016) .*الجيش في مصر القديمة: عصر الدولة الحديثة، الجزء الأول (1550–1069 ق.م.): الخصائص والشؤون العسكرية* .مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

توفيق، محمد زكريا. (2013، 3 نوفمبر) .*التاريخ المصري القديم: تحتمس الثالث* .الحوار المتمدن .

متولي، محمد .*تحتمس الثالث: كيف حول الفرعون الشاب مصر إلى قوة إقليمية عظمى* .البيان .

سلمان، محمود حواس. (2012). الخدع العسكرية في الحروب والمنازعات .*مجلة حربية، كلية الملك عبد العزيز الحربية*، .(53)

عودة، منتهى نعمة. (2020). معركة مجدو 1457 ق.م.: دراسة تاريخية .*مجلة الدراسات المستدامة، 2* .(1)

Salinger, Anthony G. (2021). *The Book Behind the Masks: Sources of Warfare Leadership in Ancient Egypt*. Brill.

Salinger, Anthony G. (2005). *War in Ancient Egypt: The New Kingdom*.

Aurelius, Caesar. (2025). *The Art of War in Ancient Egypt: Secrets and Strategies of the Pharaohs in Battle*.

Emanuel, Geoffrey P. (Ed.). (2017). *Ancient Warfare: Introducing Current Research*. Cambridge Scholars Publishing.

Shaw, Ian. (2019). *Ancient Egyptian Warfare: Tactics, Weaponry and Ideology of the Pharaohs*. Casemate Publishers.

Clayton, Peter A. (2006). *Chronicle of the Pharaohs*.

Gabriel, Richard A. (2002). *The Great Armies of Antiquity*. Praeger Security International.

Wilkinson, Richard H. (Ed.). (2012). *Tausret: Forgotten Queen and Pharaoh of Egypt*. Oxford University Press.

Tyldesley, Joyce. (2006). *Chronicle of the Queens of Egypt*. Thames & Hudson.

Wilkinson, Toby. (2010). *The Rise and Fall of Ancient Egypt*. Random House.